

بسم الله الرحمن الرحيم

## الاضحية في الاسلام والشرائع الاخرى

بقلم الاستاذ الدكتور

على عبد الواحد والفي

تدل الدراسات الاجتماعية على أن نظام الاضحية لم يغل منه دين ولا ملة ولا نحلة من الاديان والملل والنحل التي كانت مطبقة وتطبق الآن في العالم الانساني. ولا ادل على قدم هذا النظام وعموم انتشاره من الكلام عنه في جميع الاسفار المقدسة للاديان السابقة للاسلام . ومن أن القرآن الكريم يحدثنا عن شكل من اشكاله جرى العمل به في عهد آدم ابي البشر نفسه ، وذلك اذ يقول : « واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر » ( آية ٢٧ من سورة المائدة ) .

هذا والوضع الالهي السليم للاضحية وهو الوضع الذي شرعه الله تعالى منذ عهد ابراهيم عليه السلام . وهو أن تكون من الانعام المأكولة اللحم وأن تذبح ذبيحا شرعيا ويذكر اسم الله عليها . وأن يكون الله وحده هو المتقرب بها اليه . وأن يكون الفرض من تقديمها أن تكون مظهرا مسن مظاهر تقوى الله وطاعته وامتنال اوامره . وشكروا على نعمائه التي اسبغها على عباده . وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الانعام وسخرها لهم وفرصة للاحسان والبر بالفقراء والمساكين . وذلك بالتصديق عليهم بلحومها أو بشيء منها .

ولكن كثيرا من الملل والنحل والتقاليد والنظم التي كانت مطبقة والتي لا تزال مطبقة في العالم الانساني قد انحرفت فيها شعيرة الاضحية عن هذا الوضع الالهي السليم . وقد حدث هذا الانحراف في أربعة أمور : في نوع الاضحية . وفي طرائق تقديمها . وفي المتقرب بها اليه . وفي الفرض من تقديمها .

وسنبدأ بضرب أمثلة لهذه الانحرافات في المجتمعات التي لا تدين  
بأية شريعة سماوية ، ثم نجعلها بأمثلة لهذه الانحرافات عند اليهود  
والنصارى الذين أنزل الله عليهم شريعة سماوية ، ولكنهم بدلوها وحرفوها  
عن مواضعها ، ونسوا خطأ ما ذكروا به ، ونغتم البحث ببيان موقف  
الاسلام حيال هذه الشريعة وقضائه على هذه الانحرافات .

### الاضحية عند شعوب لا تدين بشريعة سماوية

لم تكن الضحايا عند كثير من هذه الشعوب مقصورة على الانعام ، بل  
كانت تقدم كذلك من بنى الانسان انفسهم — ولم تكن طريقة تقديمها على  
الدبح ، بل كانت تتمثل كذلك في طرق اخرى كثيرة كالخنق والشنق  
والافراق في مياه البحار والانهار والحرق بالنار ودفن الضحية حية . —  
وكانت الضحايا تقدم للالهة التي كانت هذه الشعوب تعبدتها من دون  
الله . — وكانت المقيدة السائدة أن هذه الالهة تفيد من هذه الضحايا  
وينالهم لحومها ودماؤها أو يسفرونها في حاجاتهم ، وانها في مقابل ذلك  
تحقق أغراض بنى الانسان .

فقد عثر الباحثون على مجتمعات بدائية كثيرة بين السكان الاصليين  
لامريكا واستراليا وافريقيا كانوا يقدمون ضحاياهم من بنى الانسان .  
وكان من أمثلة هذه المجتمعات تمسكا بهذا النظام قبائل الازتك Aztéques  
وهم السكان الاصليون للمكسيك . فقد كانوا يقدمون الضحايا الانسانية  
لالهتهم ، وخاصة الاله الذرة التي كان يتألف منها غذاؤهم الرئيسى . وكانوا  
يقدمونها في مناسبات كثيرة يتكرر بعضها كل عام ، حتى لقد بلغ متوسط  
ما كانوا يقدمونه سنويا من هذه الضحايا زهاء خمسين ألفا من الادميين  
من مختلف الاجناس والاعمار ، كما جاء في احصائيات كثير من علماء  
الانثروبولوجيا ، وهم الباحثون في تاريخ الحضارات الانسانية . وكانت  
طريقتهم في تقديم الاضحية طريقة غريبة تتمثل في أن يهشم جسمها  
بحجرين ثقيلين يصوبان ضرباتهما المتتالية المتتالية السريعة الى ظهرها وصدرها .  
وقد جرت العادة لديهم أن تكون الضحية في مرحلة من العمر تشبه مرحلة  
نبات الذرة في الوقت الذي تقدم فيه ، فتكون وليدا مقب ظهور النبات

ورجلا بعد تمام نموه ، وطفلا أو مراهقا أو شابا فيما بين ذلك • وكانوا يعتقدون أن هذا التناوب بين من الأضحية والمرحلة التي يجتازها النبات يجعل لها أكبر الأثر في نموه وخصارة محصوله •

ولم يقتصر تقديم الضحايا البشرية على هذه الشعوب البدائية التي ضربنا مثلا لها ، بل لقد انتشر هذا النظام عند كثير من المجتمعات المتحضرة التي لا تدين بشريعة سماوية ، وخاصة قدماء المصريين واليونان والرومان •

وكان من أهم مظاهر هذا النظام عند قدماء المصريين أنهم كانوا يقدمون لنهر النيل ، الذي كان يعد من أكبر معبوداتهم ، بنتا مكرمة كل عام ضحية له ، يقرضونها في مياهه لكي تطيب بها نفسه ، فيلمس البلاد بغيره وفيضانه • وكانت الضحية تفتارها عسادة من أسرات الأشراف والنبلاء حتى يتسق مقامها مع مقام الإله المقدسة إليه • ويقال أن هذا التقليدية قد ظل متبعا في مصر إلى أن أبطله عمر بن الخطاب وأمر بالانقلاع عنه • ويقال أنه كتب رسالة وأمر أن يلقى بها في النيل ، وقال فيها مخاطبا النهر : « إن كنت تفيض من عندي فلا حاجة لنا بك ، وإن كنت تفيض من عند الله فليس الله في حاجة إلى مندي » • ومع ظهور صفات الأسطورة على هذه القصة فإن احترامها وتداولها يدلان على قدم هذا النظام وتواصله وبقائه أبدا طويلا عند المصريين في عصورهم القديمة والوسطى • وقد ترك هذا النظام في مصر رواسب كثيرة ، من أمثال ما كانوا يسمونه « عروس النيل » ، وهو تمثال لينت كان يقذف به في النيل إبان فيضانه وكان هذا يتم في حفل كبير ، وكان هذا التمثال رمزا للأضحية الأولى التي كانت تقدم إليه من المزارى • وقد ظل هذا التقليد معمولا به في مصر إلى عهد قريب •

وكانت الضحايا البشرية عند قدماء اليونان تقدم في مناسبات كثيرة دينية ودنيوية لكثير الهتهم « زوس » Zeus ( وهو نفسه الإله جوبيتر عند قدماء الرومان وكوكب المشتري عند العرب ) • وكانت الضحية تفتار عادة من أسرات الأشراف والنبلاء ، وفي أوقات المجاعات كانت تفتار في الغالب من الأطفال الصغار لهذه الأسرات • وكانت طريقة تقديمه تتمثل

في الغالب في التذبح أو الخنق أو الشنق . وقد ظلت هذه التقاليد سائدة لديهم حتى القرن الثاني بعد الميلاد . فكثير من مؤرخي هذا العهد يذكرون حوادث لأفراد قدموا أنفسهم ضحايا طوعية واختيارا لكبير ألتهم «زوس»

وقد ظل هذا النظام . وهو تقديم الضحايا البشرية قربانا للالهة . متبعيا عند قدماء الرومان حتى قبيل الميلاد المسيحي . ففي العام السابع والتسعين قبل الميلاد اصدر مجلس الشيوخ الروماني قانونا يحرم تقديم الضحايا من الادميين . ويقرر عقوبات لمن يقدم على ذلك . ولكن هذا القانون لم يصح حدا لهذا التقليد . بدليل أنه قد ظهر بعده قانون آخر يحدد أمر التحريم ويزيد من عقوبة المخالفين . وذلك لان تكرار قوانين الحظر واتجاه كل منها الى تشديد العقوبة مما كانت عليه . كل ذلك يدل على شيوع الشيء المحظور وعجز أولى الامر من القضاء عليه .

وقد شاع تقديم الآباء اولادهم ضحايا للالهة عند كثير من الشعوب التي لا تدين بشريعة مساوية . وعلى الاخص عند العرب في الجاهلية . فيمضى القصص التي تروى عن عرب الجاهلية تدل على أن هذا النظام قد ظل سائدا لديهم الى قبيل الاسلام . فمن ذلك ما ينسب الى عيد المطلب جد النبي عليه السلام . فقد روى أنه لما لقي العنت في حفر زمزم . اذ لم يكن معه حينئذ من يماونه غير ابنه العارث . نذر لئن ولد له عشرة بنين . ويلغوا معه السعى حتى مشعوه واخنوه من طلب المعونة من الناس . ليتحرر احدهم ويقدمته ضحية لهبل . وهو صنم لقريش كان في جوف الكعبة . يقول عنه ابن الكلبي في كتابه « الاصنام » أنه كان من عقيق احمر . على هيئة الانسان مكسور اليد اليمنى . اذركته قريش كذلك فيجعلوا له يدا من ذهب . فلما ولد لعبد المطلب عشرة بنين وتوافرت فيهم شروط النذر جسمهم أبوهم واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء به . فأطاعوه . فذهب بهم الى الصنم على واقترب عليهم . فجعل لكل منهم قدحا ورقم اسمه عليه . وضرب القداح فخرج قدح عبد الله والد الرسول عليه السلام . فهم بذبحه وتقدمه قربانا لهبل وفاءا بنذره . فتمتعت قريش من ذلك . وطلبت اليه أن يذهب الى كاهنة سموعا يستشيرها بالامر لعلها تجد له محرما يتحلل به من نذره بدون أن يذبح ابنه . فأشارت عليه

الكامنة أن يضرب القداح بين عبد الله وعشرة من الأهل ، فإن خرجت القداح على الأهل ذهبها بدلا من ابنه ، وإن خرجت القداح على عبد الله زاد الأهل عشرة فعشرة وهكذا دواليك حتى تخرج القداح على الأهل فينصر العدد الذي خرجت القداح عليه بالغا ما يبلغ - فخرجت القداح في أول الأمر على عبد الله ، ولم يزل عبد المطلب يزيد من عدد الأهل عشرة فعشرة ويضرب القداح وتخرج القداح على عبد الله حتى بلغ عدد الأهل مائة فخرجت القداح على الأهل - فنصر هذا العدد كله تحت قدس جبل قربانا له ووفاء بنذره وفداء لابنه \* - وبهما يكن مبلغ الصحة في هذه القصة فإنها تدل على أن نظام التضحية بالأولاد وتقديمهم قربانا للالهة قد ظل سائدا عند عرب الجاهلية حتى قبيل الإسلام ، وأنه قد أصبح حينئذ غير مستساغ بدليل ما تذكره هذه القصة من أن قريشا منعت عبد المطلب أن يذبح ابنه ، وأصبح على وشك الانقراض لديهم ، إذ اتجهوا إلى أن يستبدلوا به نظام التضحية بالحيوان \* .

وقد ساد عند بعض قبائل العرب في الجاهلية ، وخاصة بعض بطون من قريش وربيعة وكندة وخطه وتميم ، نوع خاص من التضحية بالأولاد وهو وأد البنات - وكانت الطريقة السائدة في هذا الولد أن تعفر بجانب المكان الذي اختير لولادة الأم حفرة عميقة ، فإذا ظهر أن المولود أنثى قذف بها حية عقب ولادتها مباشرة وميل على جسمها التراب ، وبعض هذه العماثر كانت تشد بناتها في أمكنة خاصة بعيدة عن المنازل حتى لا تدنسها بجثثهن ورفاتهن ، وكان جبل أبي دلالة أشهر مكان كانت بعض بطون قريش تشد فيه بناتها على هذه الطريقة - وقد ظهر لي من شواهد قرآنية وتاريخية كثيرة وأثبت ذلك في بحث لي بالفرنسية قدمته إلى مؤتمرات « المجمع الدولي لعلم الاجتماع » وطبعه المجمع في فصله على عدة ، أن وأد البنات عند هذه العماثر كان نظاما دينيا يقصد به التخلص من جنس البنات وتقديمهن قربانا للالهة - وذلك أنه قد ساد الاعتقاد عند هذه العماثر أن الذكور جنس طاهر زكى من خلق الله فيجب الإبقاء عليه ، وإن الإناث جنس غير طاهر وغير زكى من خلق الله ، فلا يجوز الإبقاء عليهن. بل يجب تقديمهن ضحايا لمبوداتهم الذين أشركوهم بالله ، وهذه العماثر هي التي عنانا القرآن الكريم في عدة آيات منها قوله تعالى « وجعلوا

لله سادراً من الحرث والانعام نصيباً ، فقالوا هذا الله يزعمهم وهذا الشر كائننا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ، سام ما يحكمون . وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ، ولو شاء الله ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراءً على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين ، ( آيات ١٣٦ - ١٤٠ من سورة الانعام ) اى ن ألهم الذين اشركوهم بالله هم الذين زينوا لهم قتل بناتهم ، على اساس تقسيمهم للاشياء بين الله وشركائهم ، وعلى اساس ان جميع ما يعمولونه لله يجب ان يقدموه ضحايا لشركائهم ، زينوا لهم ذلك فارادوهم والفسدوا عليهم دينهم ومفاندهم . ومنها كذلك قوله تعالى : « ويحملون لما لا يعملون ، اى بالهتهم التى لا علم لها لانها جملة نصيبا مما رزقناهم ، تالله لئسألن عما كنتم تفترون » . ويحملون لله البنات ، سبحانه ، ولهم ما يشتهون ، ويقول بعد ذلك مباشرة : « واذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا سام ما يحكمون » ( آيات ٥٦ - ٥٩ من سورة النحل ) . ومنها كذلك قوله تعالى : « وحملوا له من عباده جزءاً ، ان الانسان لكفور مبين » أم اتخذ مما يخلق بنات وأصنافاً بالبنين ، ويقول بعد ذلك مباشرة : « واذا بشر احدكم بما ضرب للرحمن مثلاً ، ( اى بالجنس الذى نسه لله وهو جنس الاناث ) ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » ( آيات ١٥ - ١٩ من سورة الزخرف ) (١)

(١) انظر فى تفاصيل هذا الموضوع صفحات ٦١ - ٧٣ من كتابى « الصوم والاضحية » ، وصفحات ٩٤ - ١٠٣ من الجزء الاول من كتابى « غرائب النظم والتقاليد والعادات » (وهو أهم مرجع فى هذا الموضوع ) ، وصفحات ١٤٠ - ١٤٤ من الطبعة السابعة من كتابى ( الاسرة والمجتمع ) ، ومقالاتى فى مجلة ( الشؤون الاجتماعية ) المصرية عدد مارس ١٩٤٠ ، ومقالا لى بمجلة الرسالة عدده ابريل ١٩٦٥ ، ومقالا لى بالفرنسية بعنوان ( نظرية جديدة فى واد البنات عند العرب فى الجاهلية ) قدمته الى مؤتمر مسن مؤتمرات « المجمع الدولى لعلم الاجتماع » الذى اشرف بعضيته ، ونشره

وبجانب هذه العشائر كان ثم عشائر عربية أخرى تقتل أولادها  
ذكورهم وإناثهم تحت ضغط الفقر والأملق وما كان يخيل إليهم من أنهم  
قد يميزون من الانفاق عليهم . ولكن هذا القتل لم يكن من الاضحية في  
شيء . ولم يكن الباحث عليه اعتقادا دينيا ، وإنما كان الباحث مجرد الرغبة  
في التخلص من الأولاد على العموم ومن أعباء تربيته . وهذه العشائر هي  
التي عناها القرآن الكريم إذ يقول : « ولا تقتلوا أولادكم خشية أملق »  
نحن نرسلهم وإياكم . أن قتلهم كان خطأ كبيرا » ( آية ٣١ من سورة الأبرار )  
وإذ يقول : « ولا تقتلوا أولادكم من أملق » نحن نرسلهم وإياهم » ( آية  
١٥١ من سورة الأنعام ) .

هذا وكانت العقيدة السائدة عند كثير من هذه الشعوب أن مبيداتهم  
يفيدون من هذه الضحايا ، ويأكلهم لحومها ودمائها ، أو يستخرجون منها  
حاجاتهم . ووصفت بعض هذه الشعوب مبيداتها بصفات القسوة والوحشية  
وحب الدماء والتلذذ بمنظر الدم المهرق على العموم أو بمنظر الزماني أرواح  
الأمميين أو أرواح أنواع خاصة منهم . فكانوا يقدمون الضحايا الحيوانية  
والإنسانية لهذه المبيدات تهديّة لهذه البيوت اسبوية ، وانقام لشروع .  
وتأينا على حياة الجماعات ، كما يقدم صاحب القطيع بعض أفراد قطيعه  
للسباع لينجو هو ببقية أفراد القطيع .

---

المجمع في مجلته ، وطبعه في فصله على حدة وهو أول بحث عرضت فيه  
نظريتي هذه ، ومقالا بالفرنسية في مجلة « المصرية » L'Egyptienne  
عدد يوليو ١٩٣٢ ، ومقالا بالعربية نشر بالعدد الممتاز من مجلة « الرسالة »  
في ٣ مارس ١٩٤١ وانظر مناقشات بعدد هذا المقال جرت بيني وبين بعض  
الباحثين في مجلة الرسالة ( أعداد ٣١ مارس و ١٤ أبريل و ٢٨ أبريل و ٥  
مايو ١٩٤١ ) وفي مجلة « الفتح » ( عدد ٢٩ صفر ١٣٦٠ هـ ) .

وقد تصديت في معظم هذه المراجع للرد على من يذهب إلى أن السبب  
في الواد يرجع إلى الفقر وعلى من يذهب إلى أنه يرجع إلى مبالغة بعض  
العشائر العربية في العرص على صيانة أعراضها ، وبينت عدم صحة هذين  
الرأيين .

## الاضحية عند اليهود والنصارى

وجميع ما تقدم ذكره يمثل فى انحرافات فى نظام الاضحية فى مجتمعات لا تدین بشریة مساویة . وقد حدثت اشباه وتفاوت لهذه الانحرافات عند اليهود والنصارى أنفسهم الذين انزل الله عليهم شرائع مساویة . ولكنهم بدلوا وحرفوها عن مواضعها ونسوا حظا مما ذكروا به . فقد بقى فى تقالید اليهود وعقائدهم كثير من مظاهر الوحشية

والانحراف والجهل فى فهم الفرض من الاضحية والمتقرب بها الى الله والى اختيار نوعها وطرائق تقديمها .

فمن ذلك أن كثيرا من فقرات العهد القديم نفسه ، وهو كتابهم المقدس الذى يزعمون أن أسفاره الخمسة الأولى ، وهى أسفار التكوين والخروج والتثنية والعدد والملأیین ، تتضمن التورات التى أنزلها الله على موسى ، والتوراة بريئة منها . أقول أن كثيرا من فقرات هذا الكتاب المقدس لديهم تدل على أنهم فى مرحلة من مراحل تاريخهم القديم كانوا يقدمون أول مولود ضحية لآلهتهم . فقد ورد فى هذه الفقرات أن فرعون لم يسمح لبني إسرائيل بالخروج مع موسى من مصر ، فأنزل الله إسرائيل ثقله على المصريين ، فكان يهلك أول مولود لكل أبوين من المصريين وأول مولود لكل أنثى من حيواناتهم فى سائر بلاد مصر . ولما رأى فرعون وقومه ما حل بهم من العذاب استجابوا لرغبة بني إسرائيل ، وأذنوا لهم بالخروج من مصر وكان هذا « الخروج أو الفصح » أو ما يسمونه « الفصح أو اليصح » ويحرفه الفرنجة فيسمونه « الباك » La Paque كان هذا الخروج حدثا فى تاريخهم ، وإليه يرجع الفضل فى استقلالهم وتحررهم من الاستعباد . وتضيف أسفارهم إلى ذلك فتقول أنه لكى يظل بنو إسرائيل ذاكرين فضل الله عليهم فى هذا الخروج فرض عليهم أن يخصصوا للرب ، أى أن يقدموه ضحية له . أول ما تلده كل أنثى من الإنسان والحيوان . ولكن خفف الله عنهم فيما بعد فيما يتعلق بأول مولود من الإناث . فشرع فداهم بذبح من الضأن . وإذا لاحظنا أن هذه الأسفار ليست هى التوراة التى أنزلها الله على موسى ، بل هى من صنعهم وقد كتبوها بأيديهم وأشار القرآن الكريم إلى ذلك إذ يقول : « فويل للذين يكتبون الكتاب



بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا ، فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون ، ( آية ٧٩ من سورة البقرة ) ، ولاحفظنا كذلك انهم قد سجلوا في هذه الاسفار ما كانوا يسيرون عليه بالفعل في مختلف مراحل تاريخهم ، اذا لاحظنا هذا وذاك أمكننا أن نستنبط مما ورد ذكره في هذه الاسفار ان التضحية بأول مولود آدمي كان نظامًا سائدًا لديهم في مرحلة من مراحل تاريخهم القديم .

ومن ذلك ايضا أن توراتهم المزعومة تنص على أن الضحايا المحرقة ، وهي التي تقدم ضحايا لآلهتهم وتحرق أجزاءها في المذبح تصبث اشراف احد اللاويين ، وهم كهنة بني اسرائيل وفقهاؤهم ، ويتألفون من نسل لاوي أو لبني أحد أبناء يعقوب ، تنص توراتهم المزعومة على أن هذه الضحايا المحرقة يرتاح لها الاله اسرائيل ، ويقيد ومنها ، وينتمش مسن رائحة الدخان المتصاعد منها ، وأنه لذلك لا يصح أن يأكل أحد منها حتى تكون خالصة له ، وأنه يقضب أشد القضب اذا لم تقدم اليه أو اذا قدمت اليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ جام غضبه وسوط مهبابه على المقصرين والمخالفين فيرسل عليهم نارا تحرقهم ، كما فعل بولدين من أولاد هرون لم يحسنا تقديم الاضحية اليه واشنع من هذا كله وأشد دلالة على وحشية اليهود ، وفساد عقائدهم ومبلغ مداوتهم للجناس الاخرى من بني الانسان، أن اسفار التلمود ، وهي اسفار من تأليف أخبارهم وربانييهم باعترافهم هم انفسهم ، ولكنها مع ذلك مقدسة لديهم ، ولا تقل اهميتها عند كثير منهم عن أهمية التوراة نفسها ، هذه الاسفار تحثهم على خطف الأديمين من غير بني اسرائيل وذبحهم وتقديمهم قربانا لآلهتهم ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في اعيادهم ، وخاصة عيد الفصح ، وعيد استير أو البوريم ، ومراسيم ختان الاطفال ، وطقوس سحرم وشعوذتهم .

وقد عني المؤرخ الانجليزي أرنولد ليز Ornd Lee بتسجيل أهم ما ثبت اقرار اليهود له ، من منتصف القرن الثاني عشر الى سنة ١٩٣٧ في مختلف بلاد أوروبا وآسيا من هذه الجرائم ، واعني بها خطف اليهود للأديمين من غير بني اسرائيل ، وتقديمهم قربانا لآلهتهم ، ومزج

دمائهم بمجيين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في المناسبات السابق ذكرها  
عملا بوصايا تلمودهم ، ، وجمع هذا كله في كتاب له ظهر سنة ١٩٣٨  
تحت عنوان « طقوس الاغتياال اليهودية » Jewish Ritual Murder

فذكر نحو ستين حادثا ثبتت الجرائم في كثير منها بأدلة قاطعة وباعتراف  
المتهمين انفسهم أمام القضاء وحكم في بعضها بالاعدام على المجرمين ،  
ونفذ فيهم الحكم (١) .

بل لقد شهد شاعد من أهلهم ومؤرخ من اقدم مؤرخيهم وأشهرهم ،  
وهو المؤرخ اليهودي يوسيفوس المتوفى سنة ٦٥ بعد الميلاد ، شهد بأنهم ما  
كانوا يقتصرون على ذبح الأدميين من غير بنى اسرائيل ، وتقديهم قربانا  
لآلههم ، ومزج دمائهم بمجيين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في اعيادهم  
بل كانوا كذلك يأكلون قطعاً من لحومهم .

وتقوم الديانة المسيحية الحاضرة ، وهي ليست المسيحية التي أنزلها  
الله على عيسى ، بل هي ديانة شرك قد حرفت تحريفاً كبيراً عن أوضاعها  
الالهية الأولى ، تقوم هذه الديانة على عقيدة القدام الرباني ، أو تضحية  
الآله بنفسه . وذلك انهم يعتقدون أن الاقانيم الالهية ثلاثة وهي الاب  
والابن وروح القدس ، وأن المسيح الآله متلبس بالقوم Hypostage  
من هذه الاقانيم وهو أقنوم الابن أو الكلمة ، وأن هذا الآله قد قدم نفسه  
للمصليب ضحية ليفدى الأدميين ويكفر عنهم بدمه الغطيطة الأتلية الأولى التي  
ارتكبها أبوم آدم إذ أكل الفاكهة المحرمة عليه والتي انتقل اثمها الى جميع  
نسله ، وكان هذا الائم سيظل عالقا بهم أيد الأبدن لولا هذه التضحية وهذا  
القدام .

---

(١) انظر في هذا كله كتاب أرنولد ليزلر المشار اليه وكتاب المرحوم عبد الله  
التل « خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية » ، وكتابنا « الاسفار المقدسة  
في الاديان السابقة للاسلام » الطبعة الثانية ، صفحات ٣٠ - ٣٣ ، ومقالا  
لنا في جريدة « العلم » المغربية الصادرة في ٣٠-١١-٧٤ ، ومقالا لنا في  
مجلة الرسالة « الرسالة » المصرية عدد ١٥ أبريل ١٩٦٥ .

## الاضحية في الاسلام

وجاء الاسلام فتضى على هذه الانحرافات جميعا وعاد بالاضحية الى  
الوضع الصحيح الذى شرعه الله من عهد ابراهيم عليه السلام .

ففيما يتعلق بمعتقدات المسيحيين فى المسيح والصلب والقداء يقرر  
الاسلام أن المسيح ليس الا بشرا رسولا أرسله الله الى بنى اسرائيل كما  
أرسل اليهم كثيرا من الرسل من قبله ، وأنه لم يقتل ولم يصلب بل شبه لهم  
ورفعه الله اليه وأن اثم المعصية لا يحتمله الا مقتربها وحده ، فلا تنتقل  
الى غيره ، وأن آدم قد استغفر من خطيئته عقب وقوعها مباشرة ، فغفرها  
الله له ، وانمى أثرها من ذلك الحين وانتهى أمرها . وفى هذا يقول الله  
تعالى : « ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت لقبله الرسل ، وأمه صديقة ، كانا  
ياكلان الطعام » ، ويقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ويقول :  
« ولا تزر وازرة وزر أخرى » ويقول : « فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب  
عليه ، إنه هو التواب الرحيم » .

وكما قضى الاسلام على هذه العقائد المسيحية الفاسدة ، قضى كذلك  
على جميع ما حدث فى الأديان والملل والنحل الأخرى ، وخاصة عند اليهود  
وعرب الجاهلية ، من انحرافات فى نظام الاضحية ، سواء فى ذلك ماحدث  
من هذه الانحرافات فى نوع الاضحية ، وما حدث فى طرائق تقديمها ، وما  
حدث فى المتقرب بها اليه ، وما حدث فى الغرض من تقديمها .

أما فيما يتعلق بنوع الاضحية وطرائق تقديمها والمتقرب بها اليه ،  
فان الاسلام يقرر أن الضحايا لا تكون الا من الانعام المأكولة اللحم ، وأن  
ليس لتقديمها الا طريقة واحدة وهى النحر فى الأبل والذبيح فيما عداها  
على أن يذكر اسم الله عليها فى اثناء النحر أو الذبيح ، الله وحده هو المتقرب  
بها اليه . وفى هذا يقول الله تعالى « ولكل أمة جعلنا منسكا ليزكروا اسم  
الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فالاحكم الا به واحد ، فله أسلموا وبشر  
المختبين » ( آية ٣٤ من سورة الحج ) ( والمنسك هو تقديم النسك وهو  
الاضحية ، واسلم أى أذعن وانقاد ، واخبت أى خضع وتواضع ، والمخبت  
هو الغاشع المتواضع ) . ففى قوله تعالى : « ليزكروا اسم الله على ما رزقهم

من بهيمة الانعام . اشارة الى ان الاضحية لا تكون الا من الانعام المأكولة اللحم . وان ليس لتقديمها الا طريقة واحدة وهي ان تنحر أو تذبح على الطريقة الشرعية ويذكر اسم الله عليها . وفي قوله تعالى : « فالأهكم الاله واحد . فله أسلموا وبشر المؤمنين » اشارة الى ان الله وحده هو الذي يتقرب اليه بالمضحايا . وبذلك قضى الاسلام على جميع ما حدث في الاديان والملل والنحل من انحرافات في نوع الاضحية وفي طرائق تقديمها وفي المتقرب بها اليه .

وأما فيما يتعلق بالامر الرابع . وهو الغرض من الاضحية . فان الاسلام يقرر أن الغرض منها أن تكون مظهرا من مظاهر تقوى الله وطاعته وامثال أوامره والتقرب اليه وشكره على نعماته التي أسبغها على عباده . وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الانعام وسخرها لهم . وفرسته للاحسان والبر بالفقراء والمساكين . ويقرر كذلك أن الله تعالى لا يصل اليه شيء من لحوم الاضاحي ولا من دماؤها . ولا يفيد شيئا من هذه الدماء . وإنما الذي يصل اليه من ذلك هو تقوى الناس له . وامثالهم لأوامره . وشكرهم له على تسخير الانعام لهم وعلى هدايته إياهم . وفي هذا يقول الله تعالى . « لئن ينال الله لحوما ولا دماؤهم ولكن يناله التقوى منكم . كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المؤمنين » ؛ والمحسنون هم الذين يحسنون أعمالهم فيؤدونها وفق تعاليم الاسلام . وهم كذلك الذين يحسنون الى الفقراء والمساكين من لحوم ضحاياهم . وقد وضع الله تعالى هذا النوع الأخير من الاحسان اذ يقول متحدثا عن الضحايا : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » واذ يقول في آية أخرى متحدثا عن الضحايا كذلك : « فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر » والقانع هو السائل من قنص يقتنع بالتفتح اذا سأل . والمعتر هو الذي يطيف ولا يسأل ) . وفي هذا رد صريح على ما كان يعتقد كثير من أهل الملل والنحل من أن الالهة يفيدون من هذه الضحايا وينالهم لحوما ودماؤها أو يسفرونها في حاجاتهم . ورد صريح على ما كان يعتقد اليهود من أن الاهم يرتاح للضحايا المحرقة . ويفيد منها وينتمش من رائحة الدخان المتصاعد منها . وانه لذلك لا يصح أن يأكل أحد منها حتى تكون خالصة له .

وبذلك قضى الاسلام على جميع ما حدث في الاديان والملل والنحل من انحراف فيما يتعلق بالغرض من الاضحية . كما قضى على جميع ما حدث من انحراف فيما يتعلق بنوع الاضحية وطرائق تقديمها . والمتقرب بها اليه .

ومن ثم حرص الاسلام على تحريم ضحايا العرب في الجاهلية التي ترجع في أصلها الى عبادة الشرك وتقديم القرىبان لغير الله . ومن ذلك الضحية « الفرع » بفتحين ، وهو اول نتاج الانعام الذي كان العرب يذبحونه لطلو اغيبتهم ، وضحية « المثيرة » التي كانوا يذبحونها لاصنامهم في شهر رجب . فقد اخرج البخارى في صحيحه عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لافرع ولا عتيرة » .

وحرص الاسلام كذلك في بعض ما اقره من ضحايا الجاهلية على ان تسمى باسماء غير الاسماء التي كانت تطلق عليها من قبل ، حتى تنقطع صلتها بالجاهلية وعقائدها وطقوسها ومن ذلك الضحية التي يسمى في الاسلام ذبحها للاحتفال ببلوغ المولود اليوم السابع ، وهو اليوم الذي يطلق فيه اسمه ويخلق فيه شعره ، والغرض منها اظهار البشر بالمولود الجديد وشكر الله على ما انعم والتوسعة بهذه المناسبة على الفقراء والمساكين الذين ينبغي ان يخص لهم قسم منها . فقد كانت هذه الضحية تسمى في الجاهلية « عقيقة » تسمية لها بالكلمة التي تدل على الشعر الذي يولد عليه المولود ، لان كلمة « عقيقة » في اللغة العربية معناها هذا الشعر . ثم اطلقت على الضحية التي تذبح في اليوم الذي يخلق فيه هذا الشعر . وقد اثر الرسول عليه السلام ان تسمى « نسكة » حتى يطلق عليها لفظ آخر غير اللفظ الذي كان يطلق عليها في الجاهلية ، فنقطع بذلك صلتها بالجاهلية وعقائدها وطقوسها . فقال عليه السلام : « قولوا نسكة ولا تقولوا عقيقة » . والنسكة كالنسك معناها الضحية التي تقدم قربانا لله تعالى .

وترجع اهم الضحايا في الاسلام الى اربعة انواع . أحدها الهدى الذي يقدمه الحاج وجوبا واستحبابا أو كفارة عن خطأ أو نقص حدث في مناسك الحج . وثانيها الضحية التي يقدمها غير الحاج يوم عيد الاضحي . وثالثها الضحية التي يقدمها المؤمن وفاء بذرذره ، لقوله تعالى : « وليوفوا نذرهم » ورابعها العقيقة أو النسكة السابق ذكرها . وكل نوع من هذه الانواع يجب أدائه وفق الاوضاع الاسلامية التي ذكرناها ؛ وفي كل نوع من هذه الانواع تفصيلات كثيرة يرجع اليها في كتب الفقه الاسلامي .

د . علي عبد الواحد والي